



سري يوكتسوار

**ظهور مزدوج في مكانين
مختلفين
في نفس الوقت**

"كثيراً ما تتناوبني الشكوك الإلحادية، وفي نفس الوقت تلازمني وتورقني هواجس مؤلمة. ألا توجد إمكانيات روحية لم يتم الكشف عنها بعد؟ ألا يخطئ الإنسان قدره الحقيقي إن هو عجز عن استكشاف تلك الإمكانيات؟"

صدرت هذه الملاحظات عن ديجين بابو رفيق السكن في نزل بانثي معلقاً على دعوتي له كي يقابل معلمي.

أجبتة قائلاً:

"إن سري يوكتسوار سيكرسك في الكريا يوغا التي تهدئ الهيجان النفسي بيقين باطني مقدس."

رافقتي ديجين في ذلك المساء إلى الصومعة، وحصل في حضرة المعلم على سلام روحي جعله من الزائرين الدائمين. فشؤون الحياة وشواغلها التافهة لا تشبع أعمق احتياجاتنا لأن الإنسان يملك أيضاً جوعاً فطرياً للحكمة. وقد وجد ديجين في كلمات سري يوكتسوار حافزاً للعثور في داخله على نفسٍ أكثر حقيقة من الأنا أو الشخصية السطحية لتجسد عابر.

وإذ كنت مع ديجين ندرس للبالوريوس في كلية سيرامبور فقد اعتدنا السير معاً إلى الصومعة لدى الفراغ من الدراسة. وغالبا ما كنا نرى سري يوكتسوار وهو في شرفة الطابق الثاني مرحباً بنا بابتسامة ودية.

وبعد ظهر أحد الأيام استقبلنا عند باب الصومعة تلميذ صغير يدعى كاتاي وأنهى إلينا خبراً كان مخيباً لأملنا، قال:

"المعلم ليس هنا. لقد سافر إلى كلكتا تلبية لطلب عاجل."

وفي اليوم التالي تسلمت بطاقة بريدية من معلمي جاء فيها:

"سأغادر كلكتا صباح الأربعاء. انتظر مع ديجين قطار التاسعة صباحاً في محطة سيرامبور."

وحوالي الثامنة والنصف من صباح الأربعاء ومضت في عقلي رسالة تخاطر فكري من سري

يوكتسوار مفادها: "لقد تأخرت. لا تذهبا لمقابلة قطار التاسعة."

نقلت آخر التعليمات إلى ديجين الذي كان قد انتهى من ارتداء ثيابه استعداداً للخروج، فأجابني

بتهمك: "دعك من هذا الهديان! إنني أفضل الاعتماد على كلمات المعلم المكتوبة."

هزرت كتفي وجلست بهدوء، في حين اتجه ديجين بتدمر نحو الباب وصفقه خلفه بشدة.

ولما كانت الغرفة معتمة بعض الشيء، انتقلت إلى جانب النافذة المطلة على الشارع، ورأيت

نور الشمس الضئيل يتحول فجأة إلى تألُق فائق تلاشت فيه كلياً النافذة ذات القضبان الحديدية.

وعلى هذه الخلفية الباهرة ظهر شكل سري يوكتسوار المتجسد بكل وضوح!

وإذ دهشت لدرجة الانصعاق، نهضت من مقعدي وركعت أمامه. وبإيماءتي التقليدية لتحية

التبجيل انحنيت عند قدمي المعلم ولمست حذاه. وقد كنت أعرف هذا الحذاء جيداً، فهو

برتقالي اللون مصنوع من الخيش وذو نعل من الحبال. ولامسني رداءه النسكي الزعفراني

اللون وقد أحسست بجلاء لا بملابسه وحسب بل بسطح الحذاء الخشن وأصابع قدميه

المضغوطة داخل الحذاء. وإذ أصبت بالذهول فلم أنطق بكلمة، بل وقفت وتطلعت إليه

متسانلاً، فخاطبني المعلم بصوت هادئ وعادي للغاية:

"يسرني أنك تمكنت من التقاط رسالتي الفكرية. لقد انتهيت الآن من عملي في كلكتا وسأصل

سيرامبور بقطار العاشرة."

بقيت أنظر صامتاً في حين واصل سري يوكتسوار حديثه قائلاً: "ليس ما تراه خيالاً، بل هو

لحمي ودمي. وبناء على أمر إلهي أمنحك هذا الاختبار النادر الحدوث على الأرض. قابلني في

المحطة. ستراني أنت وديجين متجهاً نحوكما خلف صبي يحمل إبريقاً فضياً، مرتدياً نفس هذه

الملابس."

ووضع معلمي كلتا يديه على رأسي مباركاً. وما أن ختم حديثه بقوله "إلى اللقاء" سمعت

دويماً غريباً هو الصوت المميز لاحتلال ذرات الجسم. وبدأ جسم المعلم يذوب تدريجياً في النور

النفاذ، فاخفت قدماه وساقاه أولاً، ثم جذعه ورأسه، وطوي كما تطوى لفافة الورق. وبقيت

أحس بأصابعه وهي تستقر برفق فوق رأسي حتى آخر لحظة. وتلاشى الضوء الساطع ولم

يبق أمامي سوى قضبان النافذة، مع شعاع باهت من نور الشمس.

وبقيت في ذهول شبيه بالخبل أتساءل ما إذا كنت فريسة الهديان. وفي تلك اللحظة دخل ديجين

الغرفة مطأطئ الرأس، وقال بصوت يرن بنغمة الاعتذار:

"لم يصل المعلم لا بقطار التاسعة ولا بقطار التاسعة والنصف."

وأمسكت بيده ودفعته بقوة دون الالتفات لاعتراضاته وقلت له: "إنني أعلم أنه سيصل في قطار العاشرة." وفي غضون عشر دقائق وصلنا باحة المحطة حيث كان القطار ينفث الدخان إيداناً بالوقوف، فهتفت مبتهجاً: "إن هالة المعلم تغمر القطار كله!"

قهقهه ديجين ساخراً وهو يجيبيني: "إنك تحلم!"

وقلت: "دعنا ننتظر هنا."

وأخبرت صديقي بالتفاصيل المتعلقة باقتراب المعلم منا. وما أن فرغت من وصفي حتى أقبل سري يوكتسوار مرتدياً نفس الملابس التي رأيتها منذ فترة قصيرة. وسار في إثر فتى صغير يحمل إبريقاً فضياً. وللحظة سرت في جسمي موجة باردة من الخوف لغرابة هذا الاختبار المدهش، وقد شعرت بعالم القرن العشرين المادي يفلت مني. فهل عدت إلى أيام السيد المسيح حينما ظهر لبطرس على سطح البحيرة؟

وإذ اقترب سري يوكتسوار – اليوغوي العصري الفائق – من المكان حيث كنت أقف صامتاً مع ديجين، ابتسم المعلم لصديقي قائلاً:

"لقد بعثت إليك أنت أيضاً برسالة لكنك لم تتمكن من التقاطها."

وظل ديجين صامتاً يحملق بارتياح في وجهي. وبعد أن رافقنا المعلم حتى صومعته سرنا باتجاه كلية سيرامبور. لكن ديجين توقف في الطريق وقد أخذ الحنق منه كل مأخذ، وقال:

"لماذا أخفيت عني الرسالة التي بعث بها المعلم إلي؟ يجب أن تفسر لي ما حدث بالضبط."

وأجبت: "وما الذي يمكنني أن أفعله إن كانت مرآة عقلك تهتز بالقلق بحيث لا تقدر على التقاط تعليمات المعلم؟"

تلاشى غضب ديجين وقال بنادم: "فهمت ما تقوله، ولكن كيف علمت بالصبي الذي يحمل الإبريق؟"

وما أن فرغت من قصة الظهور العجيب لمعلمي بالغرفة ذلك الصباح حتى كنا قد وصلنا كلية سيرامبور، فقال ديجين:

"إن القصة التي سمعتها منك الآن عن القوى التي يمتلكها معلمنا تجعلني أشعر بأن أية جامعة في العالم ليست سوى روضة أطفال."

"لقد بانث لي هذه الحقائق وأصبح كل ما كتبت به يبدو لعيني كالفقش ليس أكثر."

نطق بهذه العبارة القديس توما الأكويني (المعلم الملكي) رداً على إلحاح سكرتيره على إنجاز كتابه (الخلاصة اللاهوتية). ففي أحد الأيام من سنة ١٢٧٣ أثناء قداس في كنيسة نابولي اختبر القديس توما إدراكاً روحياً عميقاً وغمره جلال المعرفة الإلهية مما جعله لا يهتم بالأمور العقلية بعد ذلك. وهذا قريب من قول سقراط في جمهورية أفلاطون: "إن كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئاً."

المصدر: مذكرات يوغوي - السيرة الذاتية

بقلم: برمهناسا يوغانندا

ترجمة جديدة منقحة: محمود مسعود

